ممّا يمكن اثارته، أيضاً، في سياق التطوّرات الدولية، وانعكاساتها المتفاعلة على مسار المواجهة السكانية، قضية الخطاب العربي الى الاتحاد السوفياتي. فمن الواضح، ان المناخ، في موسكو، لم يعد مواتياً لحديث الايديولوجيات والمبادىء، كما عهده الجانب العربي ـ الفلسطيني في العقود الثلاثة الماضية. لقد أصبحت النغمة التي يطرب القادة السوفيات لها هي حديث المصالح المحسوبة. وحديث المصالح يقوم على معرفة ما يحتاج اليه الاتحاد السوفياتي، وربّما دول أوروبا الشرقية أيضاً، في الوقت الراهن وحتى نهاية التسعينات على أقل تقدير، وهو رؤوس الاموال للاستثمارات الداخلية، والاسواق للفوائض الانتاجية، والسلع الاستهلاكية، لاشباع توقّعات المواطنين، بعد الانفتاح على العالم والمنافذ السياحية للشرائح الوسطى وما فوق الوسطى من المواطنين، واستكمال الوجود الدبلوماسي، والتجاري، في دول ليس للاتحاد السوفياتي فيها مثل هذا الوجود، كالعربية السعودية وبعض دول الخليج، لأسباب ايديولوجية قديمة. ويحتاج الاتحاد السوفياتي، أيضاً، الى دعم معنوي في التعامل مع الجمهوريات والاقليات المتعطّشة لمزيد من الاستقلال، أو حتى الانفصال، عن الكيان السوفياتي الكبير. هذه الاحتياجات، جميعها، تنتمي الى ما يمكن للعرب ان يقدّموا فيه الكثير. والواقع ان التحدّث عن الحاجة الى خطاب عربي جديد تجاه الاتحاد السوفياتي، يلائم التطوّرات الجارية والمنتظرة، ويعبّر عن روح المتغيّرات المستجدة، ليس مجرّد حديث يدور في اطار الفكر المجرّد، بل من المسؤولين السوفيات من تطرّق اليه صراحة. على سبيل المثال، دعا أشهر المحلّلين السياسيين لشؤون الشرق الاوسط، د. جيفاندوف، اصدقاء الاتحاد السوفياتي من العرب، الى ان يحوّلوا جزءاً من رؤوس أموالهم المودعة في المصارف الاميركية والاوروبية الغربية الى المصارف السوفياتية. وكان ممّا ذكره جيفاندوف ان العرب لطالما وصفوا الاتحاد السوفياتي بأنه صديق العرب، أو حليفهم؛ ومع ذلك، فان البلاد العربية ظلّت تودع أموالها في مصارف الولايات المتحدة الاميركية، وفي الأوراق والأسهم المالية الغربية، بمئات المليارات من الدولارات. وأشار، صراحة، الى «ان الاتحاد السوفياتي يستطيع ان يقاوم الهجرة اليهودية الى الارض المحتلة. ولكن اذا تقاعس العرب عن دعمه في أزمته الراهنة، فانه قد يرفع شعاراً جديداً يقول: ' الاموال والعملات الصعبة مقابل الحدّ من الهجرة ' »[٤٢].

٣ ـ وبالنسبة الى موقف دول اوروبا الشرقية من اسرائيل، في اطار النظام الدولي الجديد، فالقاعدة العامّة هي انها في ظل حالة الانفراج تتسع المساحة التي يتحرّك فيها حلفاء القوتين العظميين[٤٣]. غير ان ما يتفاعل على قمّة النظام الدولي أفصح بما هو أكثر من مجرّد حرية الحركة بالنسبة الى حلفاء الاتحاد السوفياتي في شرق اوروبا، وكذا بالنسبة الى حلفاء الولايات المتحدة الاميركية في الغرب. فقد اتضح ان التغيّرات التي تُجرى في شرق اوروبا هي تغيّرات هيكلية وفكرية عميقة، تمثّل بنية الانظمة التي أعلنت ابتعادها من المثل الاشتراكية (أو الشيوعية). انها تغيّرات انطوت على اعادة تنظيم بنية هذه المجتمعات على أسس أكثر ميلاً الى التقاليد الليبرالية. وقد أخذت اوروبا الشرقية في التطلّع نحو الغرب. وقد أُجريت هذه التغييرات بفعل الافكار التي أطلقها غورباتشيوف، وتراخي قبضة موسكو عن شرق اوروبا عموماً.

وفي ما يخص انعكاسات هذه الظواهر على سلوك دول شرق اوروبا تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي، يلاحظ ان معظم دول شرق اوروبا قد أعاد علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل، هذا مع اعلان البعض عن ان المواقف من اسرائيل، خلال الفترة السابقة، وبخاصة منذ العام ١٩٦٧، كانت خاطئة! واعلان موسكو عن انها لن تعارض قيام دول حلف وارسو بالتواصل الدبلوماسي مع اسرائيل، لأن لهذه الدول كامل السيادة بشأن علاقاتها الخارجية[٤٤].